دلاَل الملابس الريفي يروي تفاصيل حادثة القتل الغامضة

■.. ثأرٌ قديمٌ هو ذلك الثأر الدائر بين بني «س» وبني «ص» في القرية التي سنسميها اصطلاحاً قرية الحادثة الغامضة، ذلك الثأر خلَّف العشرات من القتلى في فترات سابقة من الزمن، ورغم أنَّهُ مرَّ على آخر حادثة قتال حقيقي شامل بين الفريقين أكثر من خمسين عاماً، أعقبه صلحٌ أعاد الجميع إلى حظيرة القرية بعد أن تشردوا سنوات طوالاً، إلاَّ أن الحزازات في القلوب ما زالت متوارثةً، ومن الغريب أنْ يحملها الشباب وصغار السن ممن لم يشهدوا تلك الأحداث الدامية التي انتهت بالصلح الشامل، ولم يكتووا بنيرانها.. والأغرب من ذلك وقوع المصاهرة بين الفريقين وبقاء الحزازات.. الثأر لا يزال قائماً، والانتقام ما زال متواصلاً وإنْ بشكلٍ آخر، أقل شأناً وأكثر خزياً، فقد اتجّه كلٌ فريق يحاول الإيقاع بمحارم الفريق الآخر، بل تطوَّرت الأمور إلى حد ارتكاب عمل قوم لوط، في محاولة خسيسة من الطرفين للطعن في الآخر والتقليل من شأنه.

التقاه وسرد حكايته/
فايز البخاري

القتيل «م.ح.و» ينتمي لآل «س» وكان بينهُ وبين بعض شباب آل «ص» علاقة قوية من المودة والصحبة، حتى أنَّهم كانوا بمثابة الإخوة، والسبب بسيط لأنَّ والدته من آل «ص» وأباه توفي في حادث سيارة على طريق حرض السعودية أثناء عودته من الغربة، لهذا فقد احتضنه أخواله كأحد أولادهم.

الولد كان وسيماً وخلوقاً – كما سمعنا قصته بعد عودتنا لقريتهم – وكان يتمتع بالطيبة ونقاء السجيَّة، أخواله لم يكونوا يخشون عليه من أبناء عمومتهم باعتباره بزيهم ورِبيبهم كما يسمونه، ومن جهة ثانية فهو آمن من الفريقين، لأنَّ «س» أبناء عمومته و«ص» أخواله وهم من ربوه في حجرهم.

مع الأيَّام بلغ الولد سنَّ المراهقة وكان يمكث ليالي طوالاً في مكان حراسة القات بقريتهم مع بعض شباب «ص» الذين هم أخواله، ويشاء الشيطان ذات ليلة أن يقع عليه مجموعة من شباب أخواله الذين يبعدون بالنسب قليلاً عن والدته، وهم من أبناء عمومتها، مستغلين غياب ابن خاله، وكانت الحادثة تلك هي بداية المأساة التي أودت بحياة «م.ح.و» في خاتمة المطاف.

كعادة الرجال يخشون الإفصاح عمَّا يلحق بهم من مثل هذا العمل الرديء، يبتزونه بشكلٍ مستمر ويمارسون معه عمل قوم لوط في مأمنٍ من الناس، لأنَّهم يعلمون أنَّهُ لن يفصح، وفي الوقت ذاته هم يشعرون أنَّهم حققوا انتصاراً كبيراً، لأنَّهم أفقدوا آل «س» رجلاً كان بالإمكان أن يحمل معهم السلاح يوماً ما لمعاداة آل «ص» الذين أحسَّ شبابهم الطائش أنَّهم حققوا نصراً عظيماً، وأنَّهم مسكوا على آل «س» زلَّة يخرسونهم بها كلَّما حاولوا الطعن بهم في جريمة أو عملٍ غير أخلاقي.

وتمر السنون والقوم على ما هم فيه من الغيِّ، وكُلٌ يحاول اقتناص محارم الآخر، حتى كانت نساء الفريقين إذا وجدنَ دلاَّلاً أو عابر سبيل بطأ أرض القرية ينظرن له على أنَّهُ فريسة وصيد ثمين، وكُلٌ تحاول الإيقاع به، لأنَّ الفساد الأخلاقي كان قد زاد عن حدِّه في أوساط الفريقين. وهذا بالنسبة لخالي وأمثاله جوٌ رائعٌ عاشوا خلاله أفضل وأجمل سنوات الطيش والمجون.

وكان كل فريق يساعد الغريب على الوقوع في محارم الطرف الآخر، ويسعى لتذليل جميع الصعاب أمامه، في سلوك ينم عن حقدٍ دفين، وبصيرةٍ عمياء لا تفرق بين الخطأ والصواب.

ولا أخفيك أنَّهُ كان لخالي عدد من المغامرات العاطفية مع نساء الفريقين، وكان يخفي علاقته مع نساء أي طرف عن الطرف الآخر، وفيما بعد كان لي أيضاً مغامرات كمغامراته.

حين شبَّ «م.ح.و» وتزوَّج من بني عمومته تحت إلحاح جدِّه والد والده وأعمامه رغم رغبته اللَّحة ورغبة أمه في الزواج من بنت خاله، ومع الأيَّام صار رجلاً يعول أسرة قوامها ولدان وبنت، لم يتعدَّ عمرُ الأكبر سبع سنوات، وكان لا يزال «م.ح.و» يمارس الرذيلة مع شباب آل «ص»، وذات يوم تشاجر مجموعة من آل «س» الذين هم أبناء عمومة «م.ح.و» بمعايرة آل «ص» الذين هم أخواله بسبب فتاة قيل أنَّهم كانوا يعملون معها الفاحشة واشتهر ذلك الأمر قبل سنين، وكان سبباً في مقتلها بأسلوب محترف درءاً للشبهة حين أوعز أهلها للنساء منهم أن يسقطنها ويقذفن بها من رأس الجبل أثناء الاحتطاب ليكون سبب الموت طبيعياً والحادثة عادية لا تثير الشكوك ولا تلحق العار بهم.

وفعلاً وبينما الفتاة «ل.ه» تقوم بتجميع الحطب في صباح باكر من ذلك اليوم الذي وقعتْ فيه جريمة قتلها وإلقائها من أعلى الجبل، إذا بمجموعة من نساء قبيلتها تقترب منها والشرر يقدح من عيونهن، وكان معهن امرأة أرملة بلغت الخمسين من عمرها تسمَّى الجواسة ولها طباع الرجال الجلفين، تقدَّمت الجميع بشكل أوحى للقتيلة أنَّها تنوي الشر بها، وحين حاولتْ الاستجارة بالبقية وجدَتْ أنَّهن على اتفاق.. دُعرَتْ.. هرولَتْ، ولكن الخناق كان قد أُحكم والدائرة المنقوصةُ التي تشبه حدوة الفرس كانت قد تمَّت ولم يبق أمامها سوى الهروب نحو الهاوية.

ارتمت على ركبتيها تتوسَّل الجميع، تبكي، تشدُّ على شعرها، رفعت الشريم الذي تحتطب به في وجوههن في حالة يأس، ولكن لا فائدة، كُنَّ قد أضمرن الشرَّ وعقدن العزم على الخلاص منها نهائياً.. تقدَّمتْ الجواسة منها وهي تقول: فضحتينا يا فاجرة، والله لا نغسل عارنا اليوم وتحضَّب اللظى، أي الذقن، وأخذت بتلابيبها تنهضها من الأرض لترميها من رأس الجبل، و«ل.ه» تتشبَّث بالأرض وتحاول الإمساك بالأشجار التي حولها، ولكن الموت كان أقرب وساعة الوداع قد دنت.. تجمعت حول الجواسة بعض النسوة وحملن «ل.ه» بيد واحدة، ودفعن بها نحو أسف الجبل.. حينذاك بدرت من البعض زغاريد فجائية كانت هي السبب الذي ولد الشك عند كل من كان في الوادي وسمع بالحادثة وسارع إلى حيث هوت الجثة وعلموا أن الحادثة لم تكن محض صدفة أو عادية كما قال أهل «ل.ه» الضحية.

وهذا ما جعل من الحادثة وصمة عار في جبين آل «ص» أخوال القتيل «م.ح.و» وظل بنو «س» يعايرونهم بها كُلَّما عنَّ الخصام بينهم.

لكنَّ ذلك اليوم الذي تعايروا فيه أمام «م.ح.و» كان بداية مأساة جديدة في سلسلة المآسي التي تلحق بهذه القرية التعيسة بين آن وآخر، وكان ضحيتها شخص بكى عليه فيما بعد الجميع، لأنه حلقة وصل بين الفريقين، ويمت بصلة قرابة للجميع، فضلاً عن تمتعه بالهدوء والأخلاق الطيبة – كما سمعنا – لولا ذلك الوباء الذي نقله إليه بنو أخواله وعمومة والدته.

حين اشتد الجدال بين شباب الطرفين قفز أحد شباب آل «ص» وقال: النسوان من عادتهن.. وهذا ذي خلقهن الله لأجله، لكن قولوا لي أنتم كيف رجال ويعملوا به عمل قوم لوط.. ردَّ عليه شباب آل «س» من تقصد؟.. قال: هذا السَّبع المربِّع الذي جنبكم، وأشار بيده إلى «م.ح.و» الذي تلعثم بالكلام واسود وجهه ولم يكن يتوقع من أخواله أن يضعوه في ذلك الموقف المحرج.

حاول الشباب من بني عمومته التآكد منه، فكان الارتباك الذي عراه خير دليل على أن ما قاله ذلك الشاب صحيح.

جن جنونهم وعادوا إلى منازلهم وقلوبهم تتميز من الغيظ، وقد عقدوا في أنفسهم العزم على الخلاص من «م.ح.و» فيما شباب آل «ص» عادوا منتصرين لأن الغلبة كانت لهم في ذلك الجدال السخيف والسباق المقزز الذي لا يرضاه دين ولا يقره عرف ولا أخلاق.

استشار شباب آل «س» كبارهم في قتل «م.ح.و» فوافق البعض، خاصة من كانوا يرون فيه نسخة من أخواله، لكن أعمامه رفضوا ووقفوا إلى جانب ابن أخيهم الذي أنكر أمام أعمامه ما اتهم به.

مرت الأشهر وغضبت منه زوجته في شجار كلامي وقع بينهما تفاقم ليصل إلى الضرب المبرح لزوجته فلحقت بأهلها ومكثت لديهم أكثر من شهرين وهم يرفضون عودتها إليه، وكانوا يتمادون عليه ويعيرونها بما سمعوا عنه ويقولون له: اذهب يا..... بنتنا لن تعود لك، وأحياناً كانوا يشهرون عليه السلاح.. في يوم القتل ذهب ومعه بندقيته نوع آلي كلاشينكوف ودخل بيت زوجته التي هي كما أسلفنا من بني عمومته، وبمجرد دخوله بتلك الهيئة أثار الخوف والذعر في قلوب عمه والد زوجته وإخوانها فبادروا إلى السلاح وتراشقوا بالكلام الجارح الذي أدى به إلى محاولة قتلهم فكانوا أسرع منه وأردوه قتيلاً مضرجاً بالدماء في عقر دارهم.

عقب ذلك أبلغوا كبار عقال قبيلتهم قبل إبلاغ أعمامه فاجتمعوا وأجمعوا الرأي على أن الذي تم هو الصواب، وما على أعمامه سوى الرضوخ للأمر الواقع.

حين سمع بعض آل «ص» إطلاق النار في منزل زوجة «م.ح.و» ورأوا بني «س» يتجمهرون حوله، والبعض يذهب ويجيئ علموا أن في الأمر حادثة يريدون إخفاءها فسارعوا لإبلاغ الشرطة، وقبل وصول الشرطة كان أعمام «م.ح.و» قد اتفقوا مع كبار قبيلتهم على الادعاء أنه قتل مغدوراً برصاص اطلق عليه من النافذة وأن القاتل لاذ بالفرار.

وصل أفراد الشرطة والبحث الجنائي وبدأوا يجمعون الأدلة وانتشروا طوال الليل في صباح ذلك اليوم الذي وصلنا فيه تلك القرية وهم يحاولون معرفة السبب ومعرفة الجاني.. طافوا القرية شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً علهم يجدون دليلاً واحداً يقودهم إلى الفاعل الحقيقي ولكن دون جدوى.. حاول بعض آل «ص» وخاصة أخواله أن يتهموا أعمامه وبني عمومتهم ولكن شهادتهم كانت مجروحة باعتبارهم أعداء.

غادرت الشرطة القرية بعد أن يئسوا من وجود دليل، وبنو «س» سارعوا لدفن «م.ح.و» الذي راح ضحية لثأر قديم انتهت آثاره القتالية وبقيت آثاره غير الأخلاقية التي لا تزال حتى اليوم قائمة، ولا يدري الجميع إلى أين سيصلون معها في ظل انعدام الوازع الديني والرقيب الذاتي.

يقول صاحبي بائع الأقمشة كانت هذه الحادثة وحكاية هذه القرية من أغرب ما وجدته خلال تلك التنقلات التي كنت أجوب بها القرى في الأرياف مع خالي أولاً، ومن ثم بمفردي، ورغم أني نلت سويعات من الأنس واللذة مع فتيات ونساء من الطرفين إلاَّ أن حال تلك القرية لا يزال يحز في نفسي، وأتمنى أن تزول منهم تلك العادة السيئة ويحكموا عقولهم ويعودوا لجادة الصواب.

في إحدى جولاتي مع خالي وكان ذلك في العام الثاني من مرافقتي له جلسنا نستريح تحت ظل شجرة في شعب من الشعاب، وكان من أغرب ما رأيناه مجموعة من الشباب تقع على بهيمة وهم يتناوبون الأدوار بينهم وكأنهم مع عاهرة مشهورة أو مومس بلغت شهرتها الآفاق والأغرب منه أن خالي لم يستغرب لما رأى وقال لي: يا ولدي أنا حين كنت بسنهم عملت مثلهم، لأن الغريزة كانت تدفعنا لإفراغ محتواها في أي شيء، ولم يكن لدينا بعد القدرة على مواجهة النساء أو الافصاح لهن عن مكنوناتنا، لهذا كان ما تشاهده خير ملاذ لنا نطفئ فيه غرائزنا.

أما ما وقع لصاحبي هذا الدلال مع زوجة المغترب الذي طال امده في الغربة وما عانته أسرته وأولاده وأرضه فسأحكيه في حلقة قادمة بإذن الله.

بالعربي الفصيح

عبدالإله الطلوع

بعض الناس

● ..اليمن في أَمَسّ الحاجة إلى المخلصين فحين نرى دولاً سقطت في الفوضى الكبيرة نجد الجميع يدفع ثمناً كبيراً لفاتورة الفوضى أيضا بعض الناس ممن جلسوا على كراس إدارية على مدى أعوام كثيرة سواء في وظائف الدولة أو القطاع الخاص وغيره لم يتغيروا بكل أسف أشعر بالحسرة علينا جميعاً ونحن نراقب أفعالهم الغريبة التصرف كما أرغب فعلاً أن نسأل جميعاً عن حياتهم وعن تاريخهم ليس تتبعا للعثرات والسلبيات بقدر ما يهيئ رغبة في معرفة كيف يتحول الإنسان من إنسان جاد وحريص ولو حتى في اللحظات الأخيرة إلى إنسان غير مخلص غير جاد غير منصف ويحب نفسه فقط كأن المرفق أو الإدارة أسست له فقط أو من أجله ينظر الناس وهم يتحسرون بعيون دامعة على المال العام البريء وعلى الإدارة الضحية وعلى حقوق الناس حين تصبح أحياناً في مهب الريح عيني عينك «وعلى عينك يا تاجر» في هذه اللحظة تشعر برحمة المال العام أين يذهب وكيف وصل حاله ومصيره، ثم كيف يعود هذا المسئول المثالي في البداية وبعد التقاعد إلى الناصح الأمين ويدعو الآخرين اخلصوا الأمانة حافظوا على الإدارة أشعر بتعجب من هذا النوع من الناس وكيف لهم جراءة كبيرة وطبائع كثيرة وأصحاب مزاج في أخذ المال العام وحقوق الموظفين وتكريس الفوضى الإدارية ودعم الأصحاب ثم الأصحاب فقط وأخيراً المشكلة التابعة له ولأمثاله ، ثم يعود ويصبح الناصح والبريء والمستغرب للوضع العام ويعتبر كل شيء فوضى ذلك فقط حين يكون متقاعداً غير موظف أو بالبيت يشعر الناس أنهم بحاجة لاستشارة فريق من أطباء علم التصحيح، ليخبروا الناس فقط كيف أصبح هؤلاء وما حال الضمير لديهم وهل هناك فرصة ليصبحوا مخلصين بصدق.

ظاهرة التسول.. شرعا وقانونا

هشام عبدالفتاح بازرعة

* .. انتشرت ظاهرة التسول في المجتمع اليمني بصورة كبيرة وأصبحت من الظواهر السلبية السيئة في البيئة اليمنية، وانتشر المتسولون في كافة الأماكن والأسواق والمحلات والجوامع، وتركز انتشارهم بصورة مزعجة عند إشارات المرور وأصبح المتسولون يبتدعون الطرق ويختلقون الأعذار لاستدرار عطف المارة، إما بالدعاء لهم أو بالبكاء في وجوههم وغيرها من الطرق والأساليب المستفزة.

وقد ظهرت صور جديدة للتسول، وهي عرض منتجات رديئة مقلدة من الدرجة العاشرة على المارة أو عرض تقديم خدمات، كمسح زجاج السيارة أو كنس الرصيف، أو حوش المنزل، وفي حالة رفض عرضهم فإنهم لا يلبثون إلا بالبكاء والدعاء واستدرار العطف لتقديم المساعدة المادية لهم.

ومن صوره السيئة استغلال العاهات المستديمة لاستدرار عطف المارة أو استخدام الأطفال الرضع بصورة قاسية مهينة علماً بأن غالبية المتسولين إن لم نقل جميعهم قادرون على الكسب، وإنما اتخذوا التسول حرفة احترفوها لكسب الرزق.

ومن المواقف الغريبة التي تعرضت لها في حياتي أن وجدت متسولة شابة: أمام مطعم الشيباني في شارع حدة وعرضت عليها توفير فرصة عمل كمراسلة براتب عشرين ألف ريال إلا أنها ردت على الفور : «أيش جننت لما أضيع الشهر كله بعشرين ألف» وواصلت حديثها «نحن نعمر دور ثاني في القاع والعشرين ما تخارجش».

ومن أحدث الصور التي لاحظتها وتحديداً في شهر رمضان هو بيع المصاحف والأدعية في إشارة المرور وفي حالة عدم رغبتك في الشراء تفاجأ بسؤال على الفور «ألست أنت مسلم ألا تقرأ كتاب الله» وما يلبث المسارعة في القول (لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم»، وكأنك قد ارتكبت جريمة أو خالفت شرع الله في عدم رغبتك في شراء المصحف أو الأدعية علماً بأنهم يبالغون في سعر وهبة كتاب الله وإذكارات رسوله الكريم بصورة كبيرة جداً تصل إلى ثلاثة أضعاف وهبتها الأصلية.

والغريب في الأمر أن غالبيتهم يشكون الفاقة والجوع وعدم وجود لقمة إفطار صائميهم في البيت وإذا بادرت بعرضك بتموينهم ببعض السلع أو ببعض الأكل الجاهز فإنهم يرفضون عرضك بلباقة شديدة يحسدون عليها مشيرين إلى أنك إذا أعطيتهم المال فهو أفضل.

ولما لهذه الظاهرة من آثار سلبية سيئة فإننا سوف نتناول بالشرح المختصر ظاهرة التسول ووجهة نظر الشرع حولها، وكذا العقوبة القانونية المقررة لقائها:

أولاً: تعريف التسول:

التسول هو سؤال الآخرين المساعدة المادية لعدم قدرة المتسول على الكسب وحاجته الماسة للمساعدة لغرض بقائه على قيد الحياة لمافيه فيه إنقاذ للنفس من الموت.

ثانياً: وجهة النظر الشرعية للتسول:

إن التسول مرفوض دينيا كون الدين الإسلامي هو دين العمل، والعمل عبادة، والدليل على ذلك قوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

وهناك حادثة عن الرسول الكريم «صلى الله عليه وآله وسلم» عندما جاء له أحد الأشخاص يطلب منه المساعدة المادية فرفض الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» منحه أي نقود، بل قام بإعطائه بعض الخشب وقال له توجه إلى السوق واحتطب وكل من عمل يدك.

لذلك يتضح بأن الدين الإسلامي الحنيف يرفض الاتكالية وسؤال الناس والمساعدة المادية بدليل ما أشرنا إليه سلفاً.

ثالثاً: التسول اجتماعيا ونفسيا:

أشار الدكتور سيد صبحي أستاذ الصحة النفسية في جامعة عين شمس (أن المتسول له أسبابه الخاصة التي تدفعه لهذا العمل، فمنهم من يفعل هذا بالوراثة وآخرون يتخذونه وسيلة سهلة لكسب المال وهكذا، وأحيانا نجد الفقر هو الذي يدفع بعض الناس للتسول وأيضاً البطالة والتفكك الأسري» أي بمعنى أدق هناك ظروف اجتماعية ونفسية قد تدفع الشخص للتسول ولكن الخطير في الأمر أن ينتهي التسول إلى انحراف أخلاقي يؤثر على المجتمع علما بأنه وكما أشار. د. سيد صبحي في نهاية دراسته عن المستول بأن المتسول هو شخصية مريضة موجودة في كل المجتمعات وعلاجها هو النهوض بالمجتمع من خلال توفير فرص العمل والاهتمام بالأسر الفقيرة وتوعيتها حتي لا تخلق جيلاً جديداً من المجرمين والمنحرفين.

رابعاً:التسول قانوناً:

يعتبر التسول جريمة يعاقب عليها القانون حيث نصت المادة (٢٣٠) من قانون الجرائم والعقوبات اليمني رقم (١٢) لسنة ١٩٩٤م على ما هو آت:

(يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر من اعتاد ممارسة التسول في أي مكان إذا كان لديه أو في إمكانه الحصول على وسائل مشروعة للعيش وتكون العقوبة الحبس الذي لا يزيد على سنة إذا رافق الفعل التهديد أو إدعاء عاهة أو اصطحاب طفل صغير من غير فروعه، ويجوز للمحكمة بدلاً من الحكم على المتسول بالعقوبة المقررة أن تأمر بتكليفه بعمل إلزامي مدة لا تزيد على سنة إذا كان قادراً على العمل أو تأمر بإيداعه ملجأ أو داراً للعجزة أو مؤسسة خيرية معترفا بها إذا كان عاجزاً عن العمل وذلك متى كان إلحاق أي منهما بالمحل الملائم له ممكناً.

اخيراً:

دعوة مخلصة من القلب لكافة جهات الاختصاص لمحاربة هذه الظاهرة المزعجة واستثمار طاقات المتسولين لما يعود بالنفع على الوطن، ودعوة لكافة الأجهزة القانونية والقضائية لتفعيل النص القانوني المعاقب لجريمة التسول، وسؤال نوجهه لهذه الأجهزة:

«إذا حدثت جريمة أخرى كالقتل أو السرقة أو غيرها على مرأى ومسمع من هذه الأجهزة فهل سيتم التغاضي عنها كما في حالة التسول ؟».